

## البعرة تدل على البعير

عدي نصار  
كاتب لبناني

أفادت قرية الحكالة اللبنانية التي تقع على مشارف العاصمة بيروت صباح الاثنين الفائت على عملية اغتيال شنيعة راح ضحيتها المصور المحترف الشاب جوزيف بجاني الذي قتل بمسدس مزود بكاتم للصوت في سيارته حين كان يهبط أولاده إلى المدرسة. يُلاحظ أن مرتكبي الجريمة قاموا بفلتتهم تلك بكل هدوء وبحرفية عالية ودون أن يكتفوا لكاميرات المراقبة المحيطة بالمكان وكانهم يتعمدون أن تظهر فعلتهم بوضوح كي يبثوا الرعب في قلوب الناس. قتلوا المغدور وأخذوا هاتفه وآلة التصوير خاصته وانسحبوا بكل هدوء.

بالمختصر، عملية الاغتيال تلك قامت بها جهة محترفة ومنظمة ولا تخشى أن يُكتشف أمرها لأنها، في ظني، تمتلك السطوة والسيطرة وترى نفسها فوق القوانين والمؤسسات وبعيدة عن أي حساب.

فما الذي إرادته مرتكبو جريمة الاغتيال هذه وبهذه الطريقة، أو ما الذي يريدون إخفاؤه إلى الأبد بمقتل جوزيف بجاني المصور المحترف؟ وهل لذلك علاقة بتفجير مرزا بيروت بعدما ذكر أن المغدور به عمل مع محققين أجانب في

تصوير جريمة المرزا وتوثيقها؟ جملة أسئلة تطرح نفسها بقوة في ظل الاشتباك الحاصل على الساحتين القضائية والسياسية بخصوص التحقيقات والتهامات التي أطلقها المحقق العدلي القاضي فادي صوان في جريمة تفجير المرزا والتي تصدّت لها القوى المسيطرة مجتمعة في محاولة لإجهاضها بعد أن طالت رؤوسا كبيرة. ويزداد إلحاح مثل هذه الأسئلة حين نعرف أن التحقيقات في جريمة مقتل العميد المتقاعد في الجمارك منير أبو رجيلي لم تصل إلى نتيجة بعد، حيث يربط مراقبون هذه الجريمة أيضا بالتحقيقات الجارية في جريمة المرزا. وكان قد حذر مراقبون من حملة اغتالات في البلاد كنتيجة محتملة لمسار التحقيق في عملية تفجير مرزا بيروت خصوصا إذا تبين أنه كشف خطوطا توصل إلى الحقيقة، وذلك على خلفية ما أطلق قبل أيام من إشاعات حول دخول مجموعات كوماندوس إسرائيلية إلى الشواطئ اللبنانية وتجوّلها في بعض المناطق، وبالذات استخدام مثل هذه الإشاعات للصلح تهمة أي عملية اغتيال قد ترتكب بهذه المجموعات ورفع الشبهات عن المجرم الحقيقي، في حين يكون المطلوب من هذه الاغتيالات تصفية الشهود وإخفاء الدلائل المتعلقة بجريمة تفجير مرزا بيروت.

ومن جانبها تؤدي قوى الائتلاف المافيو السياسي المسيطرة دورا حاسما في عرقلة التحقيق العدلي وتسويفه بالتوازي مع محاولات إفراغ الملف كاملا من الحقائق التي تؤدي إلى كشف الجنّة الحقيقيين. فمن جانبه، يتحصّن رئيس حكومة تصريف الأعمال حسان دياب بحصانته السياسية ويدعمه رؤساء الحكومات السابقون الذين يفترض أن يصل إليهم التحقيق والتهام، باعتباره أن الإدعاء عليه يمس الموقع الأول للسنة في الدولة اللبنانية. أما المتهمان الآخران وهما وزيران سابقان ونائبان حاليان؛ علي حسن خليل وغازي زعيتر، فقد تقدّما إلى محكمة التمييز بطلب سحب القضية من القاضي صوان "لارتياح المشروع"، وهو بند في قانون المحاكمات يعطي الحق للمدعى عليهم أن يرتابوا في صدقية عمل القاضي أو في خضوعه لجهة سياسية تملّي عليه ما تريد، في حين أن المحقق العدلي لم يدع عليهما بعد.

أما نائب رئيس مجلس النواب إليي الفرزلي فقد طالب باسم مكتب المجلس القاضي صوان بتسليم ملف التحقيق للمجلس النيابي "ليُتّين على الشيء مقتضاه". وجاء موقف الطبريك الماروني مار بشارة بطرس الراعي في غظة الأحد الفائت ليؤكد على هذه المخاوف حين



المرزا خطوط لن يكشفها سوى قضاء مستقل وجريء، فهل يقبض للبنان قاض على غرار أنطونيو دي بيتيرو الإيطالي فتندرج رؤوس الفساد والإجرام في لبنان؟ وبين هذه الجراة في عملية تصفية جوزيف بجاني في وضج النهار وأمام كاميرات المراقبة وبهذه الحرفية وبين حزب الله المهيم على ائتلاف القوى المافيو المسيطرة في لبنان ويدعمه في تمرده على القضاء شيء ما يذكرنا بالقول الماثور "البعرة تدل على البعير".

وفي ممتلكاتهم، والذين دمر التفجير الإجرامي عاصمتهم، الذين يخشون أن يتنحّى القاضي صوان عن مهمته تحت الضغوط المتزايدة عليه، ويصرّون على الذهاب في التحقيقات العدلية حتى الوصول إلى الحقيقة، يتجمعون بشكل يومي تحت منزله داعمين له مؤكدين ووقوفهم الدائم خلفه. بين جريمة اغتيال المصور المحترف جوزيف بجاني كما في جريمة اغتيال العميد منير أبو رجيلي والعقد جوزيف سكاف قبل سنوات، والتي جرت محاولة خبيثة للفلتها، وبين جريمة تفجير

ردّ على تلمّي المسؤولين السياسيين وراء حصاناتهم الدستورية والطائفية قائلا "الناس لا تهتمهم الاجتهادات القانونية المتنازع بشأنها. ما يهمهم هو معرفة من قتل ابنائهم وفجر المرزا وهدم العاصمة؛ تهتمهم معرفة من أتى بالمواد المتفجرة، ومن يملكها، ومن سمح بتخزينها، ومن سحب منها كميات بشكل دوري وكيف؛ ومن غطّى هذه العنابر طوال سبع سنوات؟". ويبقى المتضررون من تفجير المرزا، هم الضحايا المباشرين وغير المباشرين، والمصابون في أجسادهم وأرواحهم

## «بريكست».. معضلة العشرية الثانية

وبين من ينتظر فشل المفاوضات ومن يحلم بنجاحها، تمرّ الساعات ثقيلة جدا في المملكة المتحدة. أما العالم فهو يراقب بمزيج من الدهشة والفضول والشفقة، كيف تدبر الحكومة البريطانية أصعب معضلات العشرية الثانية من الألفية الجديدة، والبلاد تعيش في عزلة بسبب جيل جديد من الجائحة لا أحد يعرف ماذا يخفي في جعبته.

البريطاني، لا شك أن صقور معسكر الخروج لا يزالون يفضلون الطلاق الصلب على أي اتفاق ينقّص من "السيادة" التي يحشدون الناس خلف استناداتها، حتى من قبل الاستفتاء المصري عام 2016. هم خليلط من أحزاب عدة، ولكن المؤثرين بينهم ينتمون إلى حزب المحافظين الذي يدير البلاد منذ عام 2010.

بعيدا عن الطامعين بالخروج دون اتفاق لغايات ما في نفوسهم، هناك في المملكة المتحدة من يقف على أهبة الاستعداد للاستفادة من هذه النتيجة إذا ما انتهت إليها مفاوضات اليوم. هم لا يفضلون هذه النهاية في التصريحات الرسمية على الأقل، ولكنها تستمّل بالنسبة إليهم فرصة حقيقية، قد لا تتكرر.

لا شك أن فشل المحافظين في ملف "بريكست" سيفتح الباب على مصراعيه أمام المعارضة للعودة إلى صدارة المشهد السياسي، وربما الوصول إلى الحكومة في أول انتخابات عامة مقبلة. زعيم العمال كير ستارمر يتلفه لهذه الفرصة التي ستمكّنه من تعويض كل الإخفاق الذي مني به الحزب خلال العقد الثاني من الألفية الجديدة.

صحيح أن ستارمر قاد حملة تطالب باستفتاء ثان حول الخروج في عهد الزعيم السابق للحزب جيرمي كوربين، ولكن تاريخه الراض "بريكست" لن يكون عائقا أمام الاستفادة من فرصة اللاتفاق لتجيش الشارع العمالي والبريطاني عموما ضد حزب المحافظين، وما جرّه على البلاد بسبب الطلاق الصلب مع بروكسل.

الحزب القومي الاسكتلندي سيستفيد أيضا من فشل مفاوضات ما بعد الخروج، ليجسد الرأي العام خلف مشروع استقلال إدنبرة عن بريطانيا العظمى. فرعية الحزب ورئيسة وزراء اسكتلندا نيكولا ستيرجين أعلنت صراحة تبنيها لهذا المشروع، وجعله عنوانا رئيسيا لحملة الحزب في الانتخابات البرلمانية للمملكة العام المقبل.

لن يفيد المحافظون ذلك القانون الذي يمنع إجراء استفتاء جديد على استقلال اسكتلندا قبل مرور عشرة أعوام على استفتاء 2014، فالظروف الداخلية ستتقلب رأسا على عقب إذا ما فشلت مفاوضات ما بعد الخروج، كما أن إدنبرة قد لا تكون العاصمة الوحيدة على قائمة الراغبين في الانفصال عن المملكة المتحدة إذا ما حدث ذلك.

قبل أشهر قليلة فقط أعلن حزب "شين فين" القومي الأيرلندي أن "بريكست" غير معطيات توحيد جزيرة أيرلندا، واعتبر أنه يمكن تنظيم استفتاء حول المسألة في ظرف ثلاثة أعوام. والكلمة المفتاح لنجاح أو فشل الحزب في هذا المسعى ستكون رهنا بنتيجة مفاوضات ما بعد الخروج التي تدور بكل تعقيد في العاصمة بروكسل.

التجارية، وإنما السياسية أيضا. التفوق الاقتصادي البريطاني قد يحرض دولا أخرى في الاتحاد الأوروبي على الانفصال والاستقلال، ويجعل من المملكة المتحدة نموذجا يحتذى من قبل أحزاب اليمين المتعددة في القارة العجوز. صحيح أن الأمر يكاد يكون مستحيلا على أي دولة أخرى في التكتل، ولكن الخوف يبقى مشروعا.

بين الخيارين يوجد حل مثالي يتمثل في اتفاق عادل يضمن للطرفين غاياتهما بعد الانفصال. ولكن هذا الاتفاق بصيغته المالية، لا غالب ولا مغلوب، لم يعد يتسع له الوقت والظرف. ثمة أيام قليلة أمام دخول خروج حيز التنفيذ في نهاية العام 2020، وكثير من الضبابية حول مستقبل اقتصاديات الطرفين بسبب كارثة كورونا المستمرة.

## بين من ينتظر فشل المفاوضات ومن يحلم بنجاحها تمز الساعات ثقيلة ويراقب العالم بمزيج من الدهشة كيف تدبر الحكومة البريطانية أصعب معضلات الألفية الجديدة

قد يفلح المفاوضات في اقتناص اتفاق اللحظات الأخيرة إن قرر "المؤثرون" من الطرفين التنازل عن الصيغة المثالية للاتفاق التي يملكون به. سيخيب هذا أمال بعض الفئات هنا وهناك، ولكنه حتما سيكون أقل كلفة من الطلاق الصلب. ويبقى السؤال البريطاني هو إن كان "المؤثرون" يفضلون التنازل، أم الوصول إلى اللاتفاق؟ على الضفة الأوروبية قد تجد دولا مؤثرة تفشل اللاتفاق لأسباب داخلية وخارجية. فعلى مستوى الداخل ستكون نتائج "بريكست" من أبرز عناوين الانتخابات الحزبية أو الرئاسية فيها خلال 2021. أما خارجيا فهي مقتنعة بضرورة معاينة لندن على الانفصال وإن كلفها ذلك إنفاق الأموال على اللمة تداعيات "بريكست" أوروبا.

في معادلات الريح والخسارة أهل المدينة لهم، كما نذكر كذلك هجرة "العائلة المقدسة" من فلسطين إلى مصر هربا من هيرووس. فلنعتبر في هذه الأيام ونحن في أجواء أعياد الميلاد الجديدة، وفي نهاية هذه السنة المليئة بالتحديات، ولنذكر مجاورة المؤمنين في حياتهم مساجدهم وكناسبتهم وأديرتهم وصوامعهم وبيعهم، وأن نعلم معاني الأخوة وأخلاقيات الجوار على هذا الكوكب الصغير.

بهاء العوام  
صحافي سوري

في تعليق لمراسل هيئة الإذاعة البريطانية في بروكسل حول المفاوضات الماراثونية التي تجري حاليا بين المملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي بشأن مرحلة ما بعد "بريكست"، يقول المراسل إن الصيد البحري قد يكون أبسط الملفات التي تقلق الطرفين. فهو يتعلق بالأرقام، والأرقام قابلة للحلحلة والاتفاق أكثر من القضايا الأخرى. نظريا يبدو رأي المراسل منطقيا، فلندن وبروكسل قد تتفقان بسهولة على كميات ومواعيد الصيد الأوروبي في المياه البريطانية. إن تفاهما أولا على المرجعية القانونية والقضائية لأي نزاع تجاري يحصل بينهما في هذه الصناعة أو غيرها، وثانيا على معايير المنافسة بين الشركات العاملة لدى الطرفين في هذا المجال أو غيره.

وكما هو معروف، لا تزال مفاوضات ما بعد الخروج تتمحور حول ثلاث قضايا رئيسية، وهي نفاذ الصيادين الأوروبيين، وتحديد الفرنسيين إلى المياه البريطانية، ومعايير المنافسة بين الشركات لدى الطرفين في كل المجالات، وخاصة الصناعة منها، إضافة إلى مرجعية الاحتكام قضائية في أي خلاف تجاري قد ينشأ بين الطرفين.

ما يثير قلق الاتحاد الأوروبي هو أن تتجسّد اتفاقية التجارة الحرة لبريطانيا التحول إلى قلب منافس للتكتل. فمثل هذه الاتفاقية تقدم لاقتصاد قوي مثل اقتصاد المملكة المتحدة مزايا كثيرة تزيد من جاذبيته وتنافسيته. بالنسبة إلى بروكسل، أقصر الطرق إلى منع تمدد الاقتصاد البريطاني على حساب اقتصاديات دول الاتحاد الأوروبي، هو ضبط معايير منافسة شركات المملكة المتحدة لنظيرتها في دول الاتحاد، والاحتكام إلى قوانين السوق الأوروبية. ولكن ذلك يعني بكل بساطة عدم "استقلال" لندن أوروبيا.

الخيار الأصعب بالنسبة إلى الاتحاد الأوروبي هو السماح بطلاق لندن وبروكسل دون اتفاق. سيخسر التكتل في ذلك على المدى المتوسط أرقاما كبيرة من الأموال وأعدادا ضخمة من الوظائف، ولكنه يبقى أقل شرا من تداعيات التفوق البريطاني على المدى الطويل، ليس فقط في معادلات الريح والخسارة

## في أخلاقيات الجوار

قريبك وتُبغضُ عدوك، وأما أنا فأقول لك: أجدوا أعداءكم. باركوا لإعيانكم. أفسنوا إلى مُغضِبِكُمْ، واصلوا لأهل الذين يبسبون إليكم ويظنونكم (متى 5:45).

فالسبح عليه السلام أعاد الصلة المفقودة بين محبة الله ومحبة الإنسان، وسأوى بين درجة محبة الآخر ومحبة النفس، وخرج بمفهوم "القريب" من ضيق مفهوم القريب في العهد القديم إلى رحابة القريب "الإنسان". يقدم المسيح عليه السلام في قصة السامري الصالح مثلا راقيا لمفهوم القريب أو الجار، فقد كان الفهم السائد بين اليهودي قصر تقديم يد العون لمن ينتمون إلى جماعتهم فقط. وكان بعض اليهود ينظرون إلى السامري نظرة تحول دون الإحسان إليهم أو حتى مساعدتهم، وهنا قدم المسيح نهجا آخر تجاوز الانشغال بتعريف القريب والبحث عن هويته إلى العيش مع القريب كعائلة واحدة.

إن بناء العلاقة مع الله يتطلب بناء روابط أخلاقية قومية تجاه الآخرين، وهي تتجلى بالجمع بين عبادة الله والإحسان إلى الناس وفق رسالة الإسلام. وفي محبة الله ومحبة الإنسان وفق رسالة المسيحية، وفي كلتا الرسالتين نخلص إلى "الكلمة السواء الأعظم" التي تعظم الخالق وتحترم المخلوق وتؤسس لمجتمع الفضيلة والتكافل.

تبدأ أخلاقيات الجوار عندما نمتّع عن كل أذى تجاه أنفسنا ومن يحيط بنا وخاصة عندما تكف عن الخطايا السبع (الغضب، الشراة، الجشع، الحسد، الشهوة، الكسل والغرور)، وترتقي أخلاق الجوار عندما نتمتّل الفضائل السبع (الصب، العفة، الاعتدال، الإحسان، الاجتهاد، اللطف والتواضع).

يقول أهل العلم "الساکت عن الحق شيطان أخرس"، ويقول دانتي البغيبيري في الكوميديا الإلهية "أحك الأمان في الجحيم هي لأولئك الذين يحافظون على حيادهم في الأزمات الأخلاقية". وهنا أقول أين نحن من الأخلاقيات الجوار مع اللاجئ والمقتل والمهمشين. دعونا نذكر هجرة النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام من مكة وحسن جوار أهل المدينة لهم، كما نذكر كذلك هجرة "العائلة المقدسة" من فلسطين إلى مصر هربا من هيرووس.

فلنعتبر في هذه الأيام ونحن في أجواء أعياد الميلاد الجديدة، وفي نهاية هذه السنة المليئة بالتحديات، ولنذكر مجاورة المؤمنين في حياتهم مساجدهم وكناسبتهم وأديرتهم وصوامعهم وبيعهم، وأن نعلم معاني الأخوة وأخلاقيات الجوار على هذا الكوكب الصغير.

الأمير الحسن بن طلال  
رئيس منتدى الفكر العربي

يقول ابن القيم الجوزية "الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين".

في مفهوم الكرامة الإنسانية التي يشترك فيها الجميع ويتساوون، تكمن قيمة الأخلاق، فالإنسان يحترم ذاته أولا وقبل كل شيء، وفي رحابة هذا الاحترام ينمو حسن الخلق وتتناسس أخلاقيات الجوار مع محيطه البشري والطبيعي. ولو تأملنا قليلا في نشأة اللغة التي تقوم عليها المعارف البشرية وتتطوّر فيها أفكارهم وثقافتهم، لارتكنا بانها تمثل منجزا توافيقا للاجتماع البشري الذي يقوم على التساكن والتجاور.

إصلاح أخلاقيات الجوار هو إصلاح لأخلاق المجتمع كله، وتعزيز لقوة الشبک الاجتماعي وتنوعه، فالمجتمعات التي تضعف فيها أخلاقيات الجوار يتراجع فيها الإحساس بقيمة التنوع، وقد تنفد في نهاية المطاف جزءا من قوتها ووحدتها.

وكلما ارتقت أخلاقيات الجوار وقام كل فرد بواجباته تجاه غيره كلما ارتقت المجتمعات، وقد اشتهر العرب باحترام الجار وإكرامه والدفاع عنه، وكان العربي ما قبل الإسلام يفخر بإحسانه إلى جاره.

يعيش البشر حالة مركبة من التواصل والترابط فهم مرتبطون مع الله بالفطرة والعهد ومتصلون مع بعضهم البعض عن طريق النخعة الإلهية وإبداع التصوير ووحدة التكوين وهي نعم وهبات أودعها في الجنس البشري وكرّمه بها على سائر الكائنات والمخلوقات.

وسواء اتفقنا مع أرسطو الذي ذهب إلى أن الإنسان "مدني بالطبع"، أو اختلفنا مع هوبز الذي يرى أن الاجتماع البشري هو هدف توافيق ومصلى ناتج عن رغبة الأفراد بالخروج من "مجتمع تسوده الفوضى والصراعات"، فإن الإنسان لا تتضح إنسانيته ولا تكتمل شخصيته إلا من خلال الترابط والتواصل مع محيطه الاجتماعي.

وهذا ما يذهب إليه ابن خلدون في تعقيبه على مقولة أرسطو بقوله "لا تمكّن حياة المنفرد من البشر، ولا يتمّ وجوده إلا مع أبناء جنسه، وذلك لما هو عليه من العجز عن استعمال وجوده وحياته، فهو محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبدا بطبعه".

يجع المسيح عليه السلام في وصيته العظمى بين محبة الله ومحبة القريب الذي ينطوي معناه على الجار بقوله "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ الجار بقوله

**العرب**

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
أسسها 1977  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
د. هيثم الزبيدي  
رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدرّاه التحرير  
مختار الدبابي  
كرم نعمة  
منى المحروقي  
مدير النشر  
علي قاسم  
المدير الفني  
سعيدة يعقوبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk  
www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk